دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	فن التراث المعماري في الموصل
المصدر:	مجلة موصليات
الناشر:	جامعة الموصل - مركز دراسات الموصل
المؤلف الرئيسي:	الفخري، توفيق
المجلد/العدد:	ع 25
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2009
الشهر:	شباط - صفر
الصفحات:	41 - 46
رقم MD:	457290
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch, HumanIndex
مواضيع:	الأماكن الأثرية، التراث الإسلامي ، الهندسة المعمارية ، العمارة الإسلامية ، مدينة الموصل ، العراق
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/457290

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

فن التراث المعماري في الموصل

توفيق الفخري

ان لكل مدينة أو مجموعة مدن فن معماري يميزها عن بقية أنماط العمارة في المدن الأخرى ويعتبر مجموع هذه الملامح هوية تراثية لها ونأخذ على سبيل المثال الأبنية التراثية في مدينة الموصل وحلب ودمشق فهي متشابهة في ملامحها بالنسبة للأسواق الشعبية.

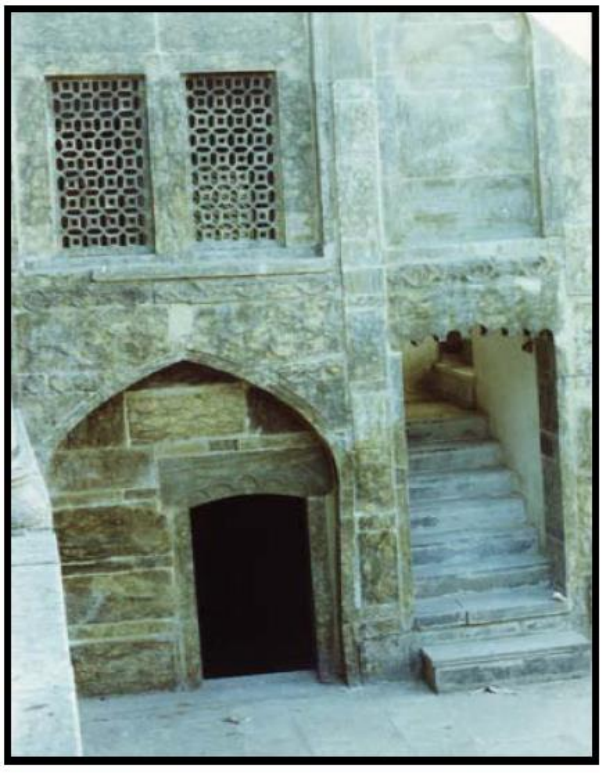

(القيصريات) وفي بناء الدور حيث يتوسط الفناء الداخلي المفتوح بحديقته الصغيرة في المنتصف والشاذروان أو (البحيرة) والسراديب على جهة أو أكثر من جهات الدار يعلوها الغرف والايوانات المقوسة والطروان بزخرفاتها المبنية بالحجر المهندم أو المزخرف أو الحلان والفرش (الأزرق) أو الأبيض والأسود في حلب ودمشق في حين يتميز بناء بغداد والسهل الوسطي والجنوبي

من العراق بالبناء بالطابوق بالطريقة الاعتيادية أو (بالجفطيم) وتشترك البيوت التراثية في موضوع الفناء الداخلي والحديقة الصغيرة أو الشاذروان في المنتصف إلا أن الفرق الوحيد هو عدم وجود السراديب في بغداد والجنوب لوجود المياه الجوفية قريبة من سطح الأرض كما أن الايوانات هي مستندة على أعمدة من الخشب وسقوفها مستقيمة مستندة على أعمدة خشبية في حين أن أبنية الموصل ذات أقواس والسقوف هي عبارة على نصف كرة في الغرف متساوية الأبعاد أو على شكل (مهد) في الغرف المستطيلة الشكل وهي مبنية بالحجر والجص (عكادة) وتكون الايونات مستندة على الدنك من الحلان أو الفرش الأزرق ومقوسة من الأعلى تبعاً للعكادة والتي تسقف الايوان. إلا أننا لاحظنا في العقود الستة الماضية ابتعاد معظم الأبنية عن الطابع التراثي المميز وجاء التصميم المعروف (بالغربي) مقطوع الجذور من أي طابع تراثي ليس من ناحية الشكل فقط وإنما من ناحية المضمون أيضاً فإن العمارة التراثية باستعمال الجص والحجر وتسقيف الغرف بطريقة العكادة التي توفر عزل كافي للحرارة وتمنع البرودة والاستعاضة عنها بالبلوك والذي لا يتلاءم مع جو المنطقة (بارد رطب شتاء حار جاف صيفاً) وصب الكونكريت المسلح للسقوف وما يكلفه الحديد المستورد وكلفة قالب الخشب وعدم توفير العزل الحراري كل ذلك قد أفقد البناء خصوصيته وملائمته للمناخ وأورد هنا أمثلة حية عن الأبنية القديمة والحديثة والفرق بينهما متروك للقارئ الكريم.

١- سنة **١٩٧٣** قِدِم الأستاذ المهندس المبدع رفعت الجادرجي إلى الموصل مكلفا بتصميم بناية لشركة التأمين الوطنية في موقعها الحالي مقابل بناية المحافظة واصطحبني معه للتعرف على خصوصية التراث المعماري للموصل فأخذته أولاً لأريه مشروع السوق العصري المنفذ حديثاً والذي يبعد عن الموقع المزمع بناء العمارة بجواره حوالي **١٠٠**م والمصمم من قبل مهندس موصلي عريق إلا أن كافة ملامحه ليس فيها من التراث شيء وقد سأل أصحاب الدكاكين عن امتيازاتهم بسعة الدكان ومحل المخزن إن كان في السرداب أو في أعلى الدكان كطبقة الخياطين فيما لو أصبحوا مستأجرين في العمارة الجديدة وانصرفنا مروراً بالقيصريات القديمة في أسواق الموصل ثم ذهبنا إلى الدور السكنية في محلة الميدان العريقة واستأذنا ساكني بعض الدور للدخول ومما استرعى انتباهه هي السراديب والمواد المستعملة في البناء إلا وهو الفرش الموصلي الأزرق والجص والحجر وأقواس الإيوانات وسقوف الغرف ولم تدم الجولة أكثر من ساعتين ثم جاء تصميم العمارة ، ويعرفها الجميع ويجمع الأكثرية من المختصين على أنها آية في فن العمارة التراثية من حيث الشكل الخارجي فقد جعل لها جداراً بارتفاع العمارة يبعد بحوالي مترين عن البناية الرئيسية ويلف حولها من جهتين الشرقية والغربية وبما يشابه الإيوان الذي يحقق العزل الحراري (حرارة شمس الصيف اللاهبة ورياح

الشتاء وأمطارها) وجعل لها فتحات بأقواس موصلية لتوفير الإنارة والتهوية لكل طبقات العمارة الرئيسية كما كسا العمارة بالكامل مع الجدار المذكور بالحلان الموصلي وجعل لكل شقة شرفة أو أكثر تطل على الشارع مباشرة وتتصل بالبناية الرئيسة ولها باب زجاجي وحديدي وهو يشبه ما موجود في الدور القديمة وتسمى طروان كما نفذ سرداب مقسم إلى أقسام تحت العمارة بكاملها رغم صعوبة التنفيذ لوجود المياه الجوفية التي لا تبعد أكثر من مترين عن سطح الأرض فدق الركائز الكونكريتية المسبقة الجهد وصب عليها أرضية السرداب وجدرانه بالكونكريت المسلح كصندوق واحد ليتحاشى نفاذ المياه الجوفية ووضع مكائن التكييف في أحد أقسام السرداب وبقية السراديب استعملت كمخازن للمواد. في حين أنه نفذ العمارة من الداخل بطريقة حديثة مقسماً إياها إلى شقق كاملة الخدمات في كل منها يتصل بعضها مع البعض الآخر بممرات وجعل لها مصعدين حديثين وبالرغم من الانتقادات التي يوردها البعض على العمارة من حيث عدم استغلال الأرض استغلالاً (مصلاوياً) من حيث ترك مترين من الجهتين المذكورتين وكلفة إنشاء الجدار إلا أن العديد من المعماريين يعتبرونها (مدرسة متكاملة في فن العمارة التراثية) ولا يضاهيها عمارة في الموصل من حيث الشكل والمضمون. فلماذا لم يكرر المهندس البغدادي الذي صمم العمارة نماذج عمارات بغداد وشارع الرشيد بخطوطها المستقيمة وإكسائها بالطابوق بطريقة الجفطيم أليس هذا هو الإبداع في استنباط النموذج التراثي للأبنية الموصلية مع المضمون الحضاري للبناء لجسم العمارة الرئيس.

٢- كان هناك داراً مشيدة في مدخل شارع نبي الله جرجيس من جهته الغربية والصورة الملتقطة لها قبل الهدم توضح الملامح الموصلية لفن العمارة والدار مشيدة سنة **١٨٦٣** كما موثق لها في اللوحة الجدارية المثبتة في صدر الإيوان وقد بدأ التصدع والهطول في معظم أجزائها مما حدا بساكنيها إلى تركها ولما كانت الدار مملوكة إلى ورثة يسكن بعضهم في بغداد فإن أمر ترميمها أصبح أمراً صعباً علماً أن الدار كانت مسجلة من ضمن الدور التراثية وجاء من اشتراها من أصحابها ليقيم عليها

عمارة غربية الملامح مقطوعة الجذور من أي ملمح مكن ملامح الفن المعماري التراثي وأنا هنا لست من دعاة تكبيل أيدي أصحاب الدور التراثية في التصرف بأملاكهم أو استدعاء دائرة معينة عليهم فقد مر على المواطنين سنين عجاف وأخص بالذكر منهم العوائل العريقة التي لا تريد ولا تستطيع مد يدها إلى المال الحرام فكيف بصاحب الدار أن يقوم بترميم داره أو بناء دار محلها يقوم ببنائها بطراز تراثي وكان حرياً بالدوائر المعنية أما أن تستملك هذه الدور وتقوم بأعمارها بشكل تراثي أو تلزم مشتريها بوضع تصاميم تراثية للواجهات حفاظاً على هوية الموصل المعمارية واترك للقارئ الحكم من خلال صور البيت والعمارة التي حلت محله.

٣- سنة **٢٠٠٠** قام أحد الذوات ببناء دار مقابل (قره سراي) على ضفة نهر دجلة الغربية على إنقاض دار تراثية وقد أجاد المصمم المعماري في الحفاظ على معالم الدار الموصلية التراثية والصورة لهذه الدار تكفي القارئ الكريم للدلالة عل جمالية هوية العمارة الموصلية، لقد تنادت رئاسة جامعة الموصل المتمثلة برئيسها الأستاذ الدكتور أبي سعيد الديوه جي ومركز دراسات الموصل بالجامعة المذكورة والأساتذة الأجلاء والباحثين إلى إقامة ندوة (التراث الموصلي بين الأصالة والحداثة) وقد أدلى رئيس الجامعة (ابن عالم الموصل ومؤرخها) بدلوه في الموضوع بكلمة افتتاحية تعبق بالأصالة وحب التراث الموصلي الجميل بجذوره الضاربة في القدم والنابعة من أرض الحضارات وحث على ضرورة الحفاظ على الهوية الحضارية للمدينة بكافة جوانب الحياة الفكرية والمعمارية كما أثنى جميع الباحثين على هوية الموصل التراثية في الآداب والعلوم والطب وركز الأكثرية منهم على هوية الموصل المعمارية المتميزة وجاء بحث أحد الأساتذة الأجلاء موضحاً للجهد الذي بذله مع هيئة مكلفة بدراسة الدور والعمائر التراثية واستمر عملهم الدؤوب لمدة أربع سنوات متواصلة وبشغف عظيم نابع من حبهم للتراث بلدهم وقاموا بتوثيق هذه الأبنية بخرائط ومصورات وتم تسقيط موقعها على خرائط الكادستر وأودعت الخرائط والمصورات في دائرة الآثار في الموصل وقد يكون من المؤلم أن

تكون هذه الخرائط والمصورات قد نهبت أثناء أعمال التخريب والنهب التي شملت المتحف الحضاري أليس من حقنا جميعاً أن نحافظ على تراثنا وعلى هويتنا الثقافية والمعرفية والحضارية والتمسك بعقائدنا ونبذ المصدر لنا منها في كل مناحي الحياة واخذ كل ما ينفع من العلوم الحديثة مع نبذ التقاليد الغربية في ديننا وتراثنا، ما أريد أن أقوله للقارئ الكريم وأرجو أن لا يفهم مني أني أريد العودة إلى عصر الظلام ولا أريد العودة إلى عصر الهاتف الذي يعمل (بالهندر) ونبذ الهاتف النقال (على الرغم من أن الكثير من رؤساء الدول العظمى لا زال يتباهى أمام ضيوفه الكبار بالتدفئة أمام مدفئة الخشب (Fire place) رغم ما يملكونه من سبل التدفئة الحديثة).

كما أني غير متحيز لموصليتي في التراث فإني معجب كل الإعجاب ببيت الشعر المسوبع والمثومن من مضايف أهلنا في البادية ودلال القهوة كما أني معجب بمضايف أهلنا في الهور المقامة من القصب والبردي التي لا مثيل لجمالها في أي ناحية من أنحاء العالم وجلسات شيوخها وأركانها وعامتها والقهوجي ودلال القهوة والربابة وشعراء الجنوب الشعبيين إلا أني أحث الجميع بالتمسك بموروثهم الشعبي في كل أنواع التراث وأن لا يدعو لكائن من كان أن يمسها ويقتلع جذورها ويبشر بنظريته التي لا أعتقد أنها نظرية (أخ لأخيه ونابعة من عين صافية).